

اسم المادة: ١٦ الإيمان باليوم الآخر ٣

من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: ١٦ الإيمان باليوم الآخر٣
من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-214354.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد؛

اليوم بإذن الله –تبارك وتعالى– نستكمل هذه الرحلة داخل الركن الركين والأصل الأصيل من أصول الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر.

اتكلمنا في حلقتين فاتوا عن أهمية الإيمان باليوم الآخر، وبدأنا المرحلة الأولى من مراحل هذا اليوم وهي مرحلة الموت.

وننتقل اليوم بإذن الله –تبارك وتعالى– إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة البرزخ، وكلامنا عن القبر وما يتعلق بالقبر هيحتاج منا إن احنا نقف مع نقاط أساسية، بس حابب أذكركم من البداية إن عقيدتنا دايماً بنستقيها من الوحي، من القرآن والسنة، وهو ده سبيل النجاة، هو ده سبيل الوصول إلى الله –سبحانه وتعالى–.

ناس كتير جداً بدأت أو حاولت إن هي تفهم العقيدة من خلال الكلام ومن خلال الهوى ومن خلال مذاهب أو مناهج فكرية بعيدة كل البعد عن القرآن والسنة، فضلّت وأضلّت، زي القبر مثلًا ناس كتير أنكرت ما يتعلق بالقبر من عذاب أو من نعيم أو ما يتعلق بالقبر من سؤال ونحو ذلك، وكل الكلام ده إن شاء الله هيتم الرد عليه ولكن في نهاية الحلقة دي أو الحلقة الجاية إن شاء الله.

ولكن تعالوا من البداية نأكد على نفس الأصل؛ الوصول إلى الله –سبحانه وتعالى–، بناء العقيدة الصحيحة السليمة في نفوسنا جميعاً متوقف على ارتباطنا بالوحي، وهي دي كانت الغاية الأساسية اللي ربنا –سبحانه وتعالى– لأجلها أرسل الرسل، ربنا أرسل الرسل علشان يبينوا للناس ويهدوا الناس إلى الاعتقاد الصحيح، وإلى الشريعة النافعة لهم في الدنيا والنافعة لهم في الآخرة، ونحن مسلّمين تماماً لنصوص الوحي طالما صحت عن نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–.

القبر: المرحلة التانية من مراحل اليوم الآخر، والمرحلة التانية دي محتاجين نقف معها عدة وقفات:

الوقفة الأولى: هول وفظاعة مشهد القبر، مجموعة القبور اللي بنعدي عليها واحنا رايحين في طريق معين أو بنشوفها واحنا بندفن حد معين أو بنزورها واحنا بنزور حد من قرايبنا مات، يمكن كتير من الناس اعتادت هذا المشهد، المشهد ده اللي يعتبر دايماً من أعظم المشاهد المحركة لقلوب الناس، حتى إن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "كنتُ نَهيتُكم عن زيارَةِ القبورِ ألا فزورُوها"، ليه يا رسول الله؟ وما الحكمة من



زيارتها؟ قال: "فإنَّها تُرِقُّ القلْبَ، وتُدْمِعُ العينَ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ"[1]، المشهد ده اللي يوم ما هنتفكر فعلًا فيه بقلوبنا مش مجرد اعتياد النظر على رؤية المقابر، يوم ما هنفكر فيه بقلوبنا ونتدبر ونتأمل فيه هنعرف فعلًا حديث البراء بن عازب –رضي الله عنه– لما قال: بينما نحن مع رسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– إذ بَصُرَ بجَماعةٍ، فقال: علامَ اجتمَعَ عليه هؤلاء؟ قيل: على قَبرٍ يَحفِرونَه، قال: ففَزِعَ رسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–، فبَدَرَ بين يدَيْ أصحابِه مُسرِعًا حتى انتَهى إلى القَبرِ، فجَثا عليه، قال: فاستقبَلتُه مِن بيْنِ يدَيه لأنظُرَ ما يَصنَعُ، فبَكى حتى بَلَّ الثَّرى مِن دُموعِه! ثُمَّ أقبَلَ علينا، قال: أيْ إخْواني، لِمِثلِ هذا اليومِ فأعِدُّوا"[2]، لمشهد القبر ده أعدوا، أعدوا لأن المشهد ده مشهد عظيم ومشهد فظيع.

سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– كان إذا وقف على القبر بكى بكاءً شديداً حتى يبل لحيته، فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّ القبرَ أوَّلُ مَنازلِ الآخرةِ، فإن نجا منهُ، فما بعدَهُ أيسرُ منهُ"[3].

وكان عثمان –رضي الله عنه– يقول: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "ما رأيتُ مَنظرًا قَطُّ إلا والقبرُ أفظَعُ منه"[4].

القبر دا اللي هو خروج الإنسان من الدنيا، القبر دا اللي بيبين لنا حقيقة الدنيا، القبر دا اللي –سبحان الله– بيتخلى فيه عنك كل أحد ولا يبقى معك إلا العمل، النبي –صلى الله عليه وسلم– مفيش مرة كان بيعدي فيها على مقبرة من المقابر إلا وهو بيقف –صلى الله عليه وسلم– ويأخذ العظة والعبرة ويقول لأصحابه خدوا بالكم القبر أمره ليس بالسهل ولا باليسير.

كما قال أبو هريرة: "كنَّا نمشي مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فمرَرْنا على قبرَيْنِ فقام فقُمْنا معه فجعَل لونُه يتغيَّرُ حتَّى رعَد كُمُّ قميصِه فقُلْنا: ما لكَ يا نبيَّ اللهِ؟ قال: ما تسمَعونَ ما أسمَعُ؟ قُلْنا: وما ذاكَ يا نبيَّ اللهِ؟ قال: هذانِ رجُلانِ يُعذَّبانِ في قبورِهما عذابًا شديدًا في ذَنْبٍ هيِّنٍ قُلْنا: مِمَّ ذلكَ يا نبيَّ اللهِ ؟ قال: كان أحَدُهما لا يستنزِهُ مِن البولِ وكان الآخَرُ يُؤذِي النَّاسَ بلسانِه ويمشي بَيْنَهم بالنَّميمةِ"[5].

يعدي على القبر يقف النبي –صلى الله عليه وسلم– ويتفكر في أحوال هؤلاء الذين في القبور، تارة يخوفهم من ذنب وتارة يحثهم على عمل ينجيهم داخل هذا القبر، وتارة أخرى يقف النبي –صلى الله عليه وسلم– ويقول لهم إن أعظم ما ينبغي علينا الاستعداد لهذا المكان، ولا يُستعد له بمال ولا بأولاد ولا بعائلة ولا بجاه وسلطان، وإنما يستعد له بالعمل الصالح.

كما ثبت أنه مر ذات يوم على قبر فنظر إلى أصحابه وقال: "رَكْعتانِ خَفيفتانِ مما تَحقِرُونَ وتَنفِلُونَ يَزيدُهما هذا في عملِهِ أحَبُّ إليه من بقيَّةِ دُنياكُمْ"[6].

النقطة التانية اللي النبي كان دايما بيأكد عليها هي نقطة ظلمة القبر، ثبت أن امرأة كانت تقوم المسجد –المرأة اللي بتنضف المسجد– كانت مريضة، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– إن ماتت فآذنوني أخبروني، هذه المرأة لما ماتت بليل، الصحابة –رضي الله عنهم– قالوا النبي طول النهار في أعمال وفي شغل وفي تعب، نسيب النبي يريح واحنا نتولى مسألة الصلاة عليها ودفنها، وبالفعل صلوا عليها دفنوها ولم يخبروا النبي –صلى الله عليه وسلم–، تاني يوم تالت يوم النبي لم يرَ هذه المرأة فسأل عنها فقالوا: ماتت يا رسول الله، النبي بيقول لهم أين فلانة التي كانت تقوم المسجد؟ فقالوا: ماتت من الليل يا رسول الله ودفناها وكرهنا أن نوقظك، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– أفلا كنتم آذنتموني؟

---

[1] صحيح الجامع
[2] حسنه الألباني
[3] صحيح ابن ماجه
[4] صحيح ابن ماجه
[5] صحيح ابن حبان
[6] صحيح الجامع



ثم قال: دلوني على قبرها فلما دلوه صلى النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها صلاة الجنازة، ثم قال النبي –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أصحابها، القبور دي مليانة ظلمة على أصحابها، وإن الله –عز وجل– ينورها لهم بصلاتي عليهم، النبي بيكلمنا على ظلمة القبر، إذا كان الإنسان منا لو في يوم من الأيام النور انطفأ بيستوحش قلبه، وقلبه بيدخل فيه خوف ومعاه زوجته وأولاده أو معاه والده ووالدته أو معاه أصحابه وبيخاف وبيدخل في قلبه الوحشة، فكيف إذا كان الإنسان في هذا المكان؟

ولقد بين لنا النبي –صلى الله عليه وسلم– ما ننور به قبورنا، فوضح لنا أربع أعمال مهمة جداً ننور بها القبور:

– العمل الأول هو القرآن الذي هو نور لنا في الأرض، ونور لنا في السماء، وذكر لنا في السماء، قال الله –عز وجل–: "قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ" المائدة:١٥، ارتبط بالقرآن، ارتبط بالقرآن قراءةً وعلماً وعملاً وتدبراً، ارتبط بالقرآن وعلى قدر الارتباط إن شاء الله ربنا ينور لك القبر، ارتبطي يا بنتي بمعلمة تحفظي على إيديها القرآن وتعلمك التجويد وأحكام القرآن، ساعتها إن شاء الله ربنا –سبحانه وتعالى– يوفقك وقبرك ينور.

– العمل التاني حافظ يا ابني أنت والناس من حولك، حافظوا يا أخوانا حافظوا يا أخواتنا على الصلاة، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "والصَّلاةُ نُورٌ"[٧].

– وأما العمل الثالث فهو الإكثار من ذكر الله –عز وجل–، فهو نور على الوجه ونور في القلب ونور في القبر.

– والأمر الرابع الصبر على المعصية والصبر على طاعة الله، اصبروا على المعصية بالبعد عنها، واصبروا على الطاعة بالمداومة عليها، يُنير الله –عز وجل– لكم القبور، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "والصَّبْرُ ضِياءٌ"[٨].

المعنى التالت من المعاني اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– اتكلم عنها داخل القبر هو الفتنة، فتنة القبر، والفتنة هنا بمعنى الاختبار، بمعنى إن كل إنسان منا إذا وضع في قبره سيُختبر، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إذا قُبِرَ الميتُ أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يُقالُ لأحدِهما المنكرُ والآخرُ النكيرُ فيقولانِ ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ؟"[٩] ما ذا تقول في محمد؟ وفي لفظ: مَنْ ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فأما المؤمن المسدد كما قال –صلى الله عليه وسلم– فيقول: ربي الله. فيُقال فما تقول في هذا الرجل؟ –يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– فيقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفي رواية يقول: أشهد أنه عبد الله آمنت به وصدقته واتبعته.

احنا لا نُسأل عن اسم النبي –صلى الله عليه وسلم–، احنا نُسأل عن منهجنا مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، احنا اتبعناه ولا لأ؟ مشينا على سنته ولا لأ؟ مشينا على هديه ولا لأ؟ هو ده السؤال.

وأما الآخر الذي ما أعد العدة لهذا اليوم فيأتيه الملكان فينتهرانه انتهاراً شديداً ويقولان له من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ وهذه آخر فتنة تعرض على الإنسان، وأما –والعياذ بالله– الفاجر والمنافق فيقول: ها ها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– بيبين لنا إن فيه ناس مشيت على منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– ومشيت على هدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، دي الناس اللي ثبتت، وفيه ناس تانية –والعياذ بالله– لن تستطيع الإجابة، علشان كده احنا بنقول لكم دايماً يا إخواننا سنُسأل في قبورنا عن أربع أشياء:

سنسأل عن ربنا، نسأل عن نبينا، نسأل عن ديننا، ونسأل عن عملنا.

---

[٧] صحيح مسلم
[٨] صحيح مسلم
[٩] أخرجه الترمذي



كما ثبت في الحديث الصحيح: فيقال له وما عملك؟ كما روى البراء بن عازب –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: إن العبد إذا وضع في قبره أتاه ملكان فيسألانه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وما عملك؟ أما المؤمن المسدد فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وأما عملي فقرأت القرآن وعملت بما فيه، فيقال على هذا مت وعلى هذا تبعث إن شاء الله.

ده أنموذج لآخر اختبار أنت هتتعرض له، أنموذج لازم تعد له الإجابة من دلوقتي، أنموذج لازم تذاكره من دلوقتي، انت هتتسأل عن سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، أخبارك إيه معاها؟ وأنتِ هتتسألي عن منهجك مع ربنا، هل كنت مستسلمة لأوامره؟ مستجيبة لأوامره؟ مستجيبة لشرعه ولا لأ؟

اللي استجاب لشرع ربنا نفذ الأوامر وابتعد عن النواهي، هو ده اللي بملء الفم يقول: ربي الله، وأما الإنسان اللي كان في الدنيا مضيع هدي النبي ومضيع سنة النبي ومضيع عبادته وطاعته مع الله –عز وجل–، ده اللي هيتلعثم وهيقول ها ها ما اعرفش لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

وهنا بتبدأ تظهر بشائر النجاح، أو حسرات الخسارة –نسأل الله السلامة–.

أما بشائر النجاح:

البشارة الأولى: "يُنادِي مُنادٍ مِنَ السماءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشوه مِنَ الجنَّةِ، وافْتَحوا له بابًا إلى الجنَّةِ، قال: فَيَأْتِيه مِنْ رَوْحِها وطِيبِها"[١٠] إلى قيام الساعة.

البشارة التانية: ثم يفتح له باب إلى الجنة وباب إلى النار، أما باب الجنة وباب النار، فأما المؤمن فيقال له: انظر إلى هذا المقعد من النار، هذا مقعدك من النار لو تركت طاعة الله، وانظر كيف أبدلك الله خيرًا منه، ثم ينظر إلى مقعده في الجنة، وما أعده الله –عز وجل– فيها.

البشارة التالتة: "ويأتيهِ رجلٌ حسنُ الوجْهِ حسنُ الثِّيابِ طيِّبُ الرِّيحِ فيقولُ: أبشِر بالَّذي يسرُّكَ، هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ لهُ: من أنتَ؟ فوجْهكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالخيرِ، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالحُ"[١١]، فوالله ما علمتك إلا أنك كنت مبادراً لطاعة الله مبتعداً عن معصية الله.

البشارة الرابعة: "ويُقالُ لَهُ: علَى اليقينِ كنتَ، وعلَيهِ مِتَّ، وعلَيهِ تُبعَثُ، إن شاءَ اللَّهُ"[١٢]

فعندها يفرح المؤمن ببشائر النجاح فيقول: ربِ أقم الساعة ربِ أقم الساعة.

والجهة التانية الناس اللي ما أعدتش وضيعت الطاعات وللأسف تركت العبادة والطاعة وراحت على المعصية بتظهر عليها حسرات الخسارة، "وإذا كانَ الرَّجُلُ السُّوءُ أُجلِسَ في قَبْرِهِ فزِعًا مَشْعوفًا"[١٣] خلاص ما هو مفيش حاجة تطمنه، مفيش حاجة تأمنه، "ويأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، وقَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسوءُكَ هذا يَوْمُكَ الذي كُنْتُ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبِيثُ"[١٤]، فوالله ما علمتك إلا أنك مبادراً لمعصية الله مبتعداً عن طاعة الله، وعندها تأتي الحسرة الأخرى "فَيُنادِي مُنادٍ مِنَ

[١٠] صححه الألباني
[١١] صححه الألباني
[١٢] صحيح ابن ماجه
[١٣] الصحيح المسند
[١٤] صححه الألباني



السَّماءِ أنْ قد كذبَ فَأَفْرِشوهُ مِنَ النارِ وأَلْبِسُوهُ مِنَ النارِ وافْتَحُوا لهُ بابًا إلى النارِ فَيأتيهِ من حَرّها وسَمُومِها"[15] إلى قيام الساعة، وعندها يقول: ربِ لا تقم الساعة.

واضح جداً فارق كبير بين منهجين، منهج كان دايماً بيقول للإنسان آدي حالك مع الله، طاعة وعبادة وقرب استجابة لأوامر الله، تنفيذ لشرع الله، وآدي نموذج لإنسان بعيد عن الله، بعيد عم طاعة الله متكالب على معصية الله وهي دي الكارثة الكبيرة.

وعند ذلك يأتي معنى آخر ذكره لنا النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو معنى صعود الأرواح إلى الجنة، ليُنعَّم أهل الجنة أو صعود الأرواح إلى النار ليُعذَّب أهل النار، فالأجساد في القبور والأرواح على حسب عمل الإنسان، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّما نسَمةُ المؤمنِ طائرٌ يُعلَقُ في شجرِ الجنَّةِ، حتَّى يرجعَ إلى جسدِهِ يَومَ يُبعَثُ"[16]، يبقى القبر فيه البدن والروح في السماء في الجنة.

النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ"[17].

والنبي –صلى الله عليه وسلم– كانت دي دعوته وهو بيموت أن تلحق روحه بالرفيق الأعلى فكان يدعو ويقول: "بل الرفيق الأعلى" وفي لفظ صحيح كان يقول: "اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى".

وقال –صلى الله عليه وسلم–: "رأيتُ جَعفرًا يطيرَ في الجنةِ"[18]، دي أرواح المؤمنين، وده اللي نقدر من خلاله نفهم بقى النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: دخلت الجنة فسمعت صوت خشخشة نعلٍ فإذا هو بلال، دخلت الجنة فسمعت قراءة، فإذا هو صحابي آخر من الصحابة –رضي الله عنهم– كان باراً بأمه، ويدخل الجنة فيري قصراً لعمر ويدخل الجنة فيري روميساء بنت ملحان.

النبي –صلى الله عليه وسلم– يبين لينا إن الإنسان إذا وضع في قبره وسُئل، إما أن تصعد روحه بعد نجاحه في الاختبار إلى الجنة، وإما أن يرسب في هذا الاختبار فيدخل –والعياذ بالله– النار.

وهنا سؤال يطرح علينا وهو سؤال في غاية الأهمية، وهل في القبر نعيم وعذاب؟

والإجابة بإذن الله –تبارك وتعالى– نعرفها في اللقاء القادم.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[15] صححه الألباني

[16] صحيح ابن ماجه

[17] صحيح مسلم

[18] رواه الترمذي

